Journal of Engineering
Fayoum University
Faculty of Engineering
Vol.1
No.2

أثر التدخل السياسي في نشأة المدن القديمة والحديثة
(حالة الدول الإسلامية)

مقدم من : **أ.د. أيمن إسماعيل** asm00@fayoum.edu.eg
أستاذ التخطيط والتصميم البيئي
كلية الهندسة جامعة الفيوم

أ.م.د. أمير صالح المهدي ami03@fayoum.edu.eg
أستاذ مساعد الهندسة المعمارية
كلية الهندسة جامعة الفيوم

م.مروة عبد الجواد محمد marwa.abdaljawad.88@gmail.com
باحثة دراسات عليا كلية الهندسة
قسم الهندسة المعمارية جامعة الفيوم

١- ملخص الورقة البحثية :

تتعاقب المناقشات والجدليات التي تسعى إلى النفاذ إلى صلب المفاهيم الجذرية المكونة للمنتج المعماري والتخطيطي وعلاقته بالأيديولوجية السياسية. وتحاول الإجابة عن أسئلة منها هل كانت العمارة / العمران بالفعل لا ترى من قبل النظم الحاكمة إلا على اعتبارها أداة ترسيخ لنظام الحكم أو تأمينا له أو تعبيرا عن هيبتها وقوتها وحافظا مخلدا لتاريخها ؟ أم أن القرار السياسي كان منسجما مع المسيرة الحضارية ككل ؟ هل يمكن بالفعل أن تقرأ تاريخ مجتمع ما من خلال قراءة عمارته والسير في شوارعه؟ وكيف كان أثر القرار السياسي الحاكم على القرار التخطيطي في إنشاء المدن الجديدة في حالة الدول الإسلامية قديما وحديثا ؟ وما الفروقات التي أحدثها التدخل السياسي في عمران مدن الدولة الإسلامية على مر العصور ؟

وهل لاستبدادية النظم الحاكمة أثر في قرارا إنشاء المدن الجديدة؟ هذا ما تسعى هذه الورقة للإجابة عليه من خلال فهم العلاقة الثنائية بين المجتمع وأدوات التعبير عنه ممثلة في عمارته وعمرانه،والمبادئ الحاكمة للسلطة السياسية بتوجهاتها المختلفة متبعة المنهج التحليلي والمقارن للرصد التاريخي للمدن الناشئة بقرار سياسي مباشر في حالة الدول الإسلامية القديمة والحديثة ، وكيف انعكس هذا التأثير السياسي على تشكل المدن وعمرانها وما الفروقات التي أحدثها القرار السياسي على تكوين المدينة الإسلامية قديما وحديثا .

الكلمات المفتاحية : السياسة –نشأة المدن _ المدينة الإسلامية

٢- مفهوم المدينة الإسلامية

قد يعتبر البعض أن المدينة الإسلامية مختلفة عن سائر المدن بتكوينها الخاص المنبثق من الشريعة الإسلامية والأحكام الفقهية الحاكمة لها. وبالفعل قد يكون المنهج الإسلامي رافدا أساسيا من روافد هويتها ومشكلا بارزا لتكوينها البُنيويّ ، فذاك الجوهر الإسلامي الذي قامت على أساسه المدينة الإسلامية عمرانيا ومعماريا حتى أصبح لهذه المدينة شخصيتها الإسلامية المتفردة ، فنجد أن لها عمرانا خاصا يختلف عن غيره من المدن من حيث كونه نابعا من الروح الإسلامية.

أن واقع الحال في تاريخ نشأة كثير من المدن الإسلامية يدل على تداخل عوامل أخرى كثيرة تفاعلت وشكلت منتجا نهائيا يصعب معه الجزم بسيطرة رافد واحد بعينه على المنتج النهائي. لذا فقبل الاسترسال ينبغي فصل وتنقية المفاهيم خاصة المتعلقة بالإشكالية المفهومية في توصيف مدينة ما بأنها إسلامية ومدى صلاحية التوصيف بين المدن القديمة والحديثة في الدول الإسلامية .

٣-مفهوم العمران الإسلامي

هو مجموعة المباني والأماكن البينية التي شيدها المسلمون بإتباع مبادئ الشريعة والأعراف المحلية ،باستخدام مواد البناء المتوفرة في تلك الفترة دون تدخل السلطات إلا في حالات

الخلاف بين الملاك[1] وترجع بداية هذا العمران إلى السنة الأولى للهجرة عندما استقر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وأسس مسجده فيها واتخذ الحجرات مسكنا له بجوار المسجد .

٤-أنواع المدن الإسلامية من حيث النشأة والتكوين

قسم المستشرق Grunebaum المدن الإسلامية إلى مجموعتين[2]:

١- المدن التلقائية : تمثل نمط المدن التي نمت من تلقاء نفسها دون تخطيط مسبق من السلطة المركزية أو تدخل منها وهي تمثل نمط المدن السائد بين المدن الإسلامية ،مثال: مدينة مشهد التي تكونت ونمت بتصرفات الأفراد

٢- المدن المبدعة : وهي المدن التي تخطها السلطة الحاكمة وهي المختص بها نطاق البحث ،وقسمت إلى أربعة أنواع **النوع الأول: العواصم المستحدثة** مثل مدينة بغداد عاصمة العباسيين ومدينة فاس عاصمة الأدراسة **النوع الثاني: مدن الأمراء** وهي المدن التي نشأت عندما قرر حاكم ما الرحيل من عاصمته إلى عاصمة جديدة (مثال : مدينة سامراء _٧٠ ميلا شمال بغداد_ التي قرر الخليفة المعتصم الرحيل إليها ، مدينة رقادة _٦ أميال من مدينة القيروان _ التي بناها الأغالبة)

النوع الثالث : مدن الأربطة وهي المدن الكائنة على الثغور الإسلامية
(مثال : مدينة الرباط بالمغرب)

النوع الرابع : مدن الأمصار أو المدن العسكرية وهي المدن التي أنشأها المسلمون الأوائل بعد فتوحاتهم مباشرة (مثال : الكوفة والبصرة _العراق ، الفسطاط _مصر ، القيروان _تونس)

٥-دور التدخل السياسي في تأسيس وتنظيم المدينة الإسلامية القديمة

وبالنظر إلى حالة المدينة الإسلامية ندرك كيف أن في الكثير من الحالات كانت الأساسيات التخطيطية للمدينة كاختيار الموقع وتوجيه العمران وإنشاء المدينة ،هي مهمة سياسية بامتياز، يعود قرار أخذها إلى السلطة المركزية للدولة بينما خط المناطق السكنية في المدينة الإسلامية كان دورا ثانيا يأتي بعد دور السكان أنفسهم،إلا أنها في المقابل لعبت الدور الأساسي في قرارات عمرانية أخرى ونوضح توزيع الأدوار والمسؤوليات ما بين السلطة والأفراد في القرار العمراني للمدينة وفقا لما تعارفت عليه الأمة في ظل فهمها لأحكام فقه العمران[3]:

أولا : دور السلطة السياسية

ويمكن إجمال الدور الذي أدته السلطة السياسية في المسيرة العمرانية للمدينة في الدولة الإسلامية كالتالي :

١_ اختيار وتحديد موقع المدينة الذي يعتمد أساسا على ظروف الموقع المتمثلة في عدة عناصر مثل توفر المياه والطبيعة الجغرافية التي تفيد في الأغراض الدفاعية والحياتية

٢_ تحديد موقع مركز المدينة الذي تتواجد فيه النشاطات التجارية والسياسية والدينية وتحديد أماكن المناطق السكنية، ويمكن النظر إلى ذلك على أنه (توزيع استعمالات الأراضي) في المدينة

---

[1] جميل عبد القادر أكبر – عمارة الأرض في الإسلام –

[2] GRUNEMBAUM,G.E.Von .Islam Essays in Nature and Growth of Caltural tradition,London

[3] سماء حسين راضي ، العمران الإسلامي كمدخل لتطبيق مفاهيم التنمية الاجتماعية المستدامة في المستقرات السكنية بمصر، رسالة ماجستير ،كلية الهندسة جامعة المنصورة .

٣_ بناء المباني الرئيسية في المدينة كالمسجد ومقر الحكم والأسوار إن وجدت

٤ _ توفير عوامل الأمن والصحة وصيانة الفراغات العامة كالساحات والأسواق

٥_ تخصيص قطع أراضي للأفراد والجماعات لتنميتها وتعميرها

٦ _ التدخل في حالة النزاع بين الجيران

٧- العمل على تحقيق الصالح العام للمجتمع والبعد عن المصالح الشخصية

ثانيا : دور أفراد المجتمع :

أما عن الدور المخوّل للسلطة المجتمعية ممارسته في البنية العمرانية للمدينة نرى أنه وزع كالتالي :

١_ تقسيم قطع الأراضي المخصصة لهم وتحديد المناطق المناسبة فيها والتي تصلح كممرات أو طرق ذات نهايات مغلقة وكذلك تحديد موقع الطريق وحجمه داخل المنطقة السكنية

٢_ إحياء الأرض غير المستخدمة تطبيقا للحديث النبوي الشريف (من أحيا أرضا ميتة فهي له) أبو داوود والدارقطنى من حديث عروة بن الزبير ، ومعناه أن الأرض غير المستغلة والتي لا يعرف لها مالك محدد يمكن إحياؤها بواسطة أي فرد بزراعتها أو البناء عليها ، وهذا المبدأ ساهم في تعمير المدن الإسلامية بسرعة كبيرة

٣_ تحمل السكان مسؤولية الفراغات الحضرية المشتركة وعناصر البناء إذ أن السلطة لم تكن تهتم بالفراغات المشتركة طالما لا تمتلكها ، وتوكل مهام صيانتها للأفراد وطبقت أربعة مبادئ على الأفراد في صيانة الفراغات العامة وهي :

المبدأ الأول : كل فرد يجب أن يشارك في بناء وصيانة العناصر العامة الرئيسية التي تعود على المجتمع بالنفع

المبدأ الثاني : بعض المهام العامة في المجتمع مثل إضاءة المدينة ومقاومة الحريق هي مسؤولية الأفراد بالاشتراك مع السلطة الحاكمة .

المبدأ الثالث : كل شخص مسؤول عن إصلاح ما أفسده في المدينة .

المبدأ الرابع : أي عنصر يتم استخدامه بواسطة جماعة معينة من الناس يجب إصلاحه بواسطتهم ، مثال : فراغ (١) هو فراغ مشترك بين أكثر من منطقة سكنية (أ) أي أن مسئوليته مشتركة بين كل المناطق المطلة عليه ، كل منطقة سكنية تشتمل على العديد من المجموعات السكنية (ب) وفراغ مشترك بين هذه المجموعات (٢) مسئولية هذا الفراغ مشتركة بين المجموعات السكنية المطلة عليه ، كل مجموعة

سكنية(ب) تشتمل على عدة مباني سكنية (ج) وهذه المباني تحصر بينها فراغ مشترك (٣) مسئوليته مشتركة ما بين المباني السكنية الواقعة عليه [٤]

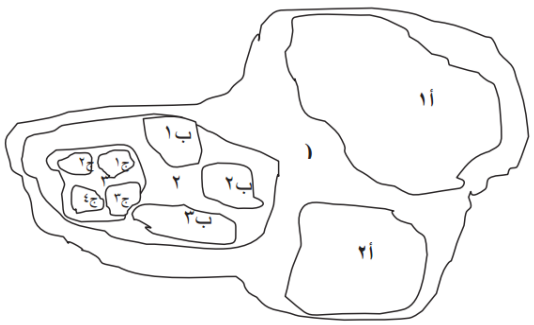

(شكل ١): مسؤولية الأفراد في حماية فراغات المناطق السكنية المتدرجة ،المصدر : جميل أكبر ، عمارة الأرض في الإسلام

٤_ الحرية في التصميم والبناء والتعديل ضمن إطار مبادئ البناء، إذ أن كل قرار يتخذه الساكن يصبح محددا لقرارات الجيران مستقبلا ، وكان كل تغير في المنطقة السكنية شأنا أهليا لا دخل للسلطة الحاكمة فيها .

[٤] جميل عبد القادر أكبر – عمارة الأرض في الإسلام .

ولقد أوضح (Hakim) في كتابه (Arabic Islamic Cities building and planning principles) أن **معظم البيئة العمرانية التراثية في المدن الإسلامية كانت نتاجا إجماليا لقرارات المواطنين وتفاعلاتهم** ، كما أشار جميل عبدالقادر أكبر في كتابه(عمارة الأرض في الإسلام) أن البيئة التراثية هي في الواقع نتاج **قرارات المواطنين الذين كانوا يتمتعون بأكبر قدر من السيطرة والحرية في اتخاذ القرارات** ، وأوضح وليام ماركس أن الحضارة الإسلامية ليست مجرد مجموعة من العقائد الدينية والتشريعات ،ولكنها كانت بمثابة المجتمع الذي يقوم فيه الإسلام بدور المنظم لحياة المسلمين [٥] ما يعود بنا إلى مفهوم المدينة الإسلامية في صورته الأولى

إذا، ومن خلال فهم توزيع الأدوار في طريقة أخذ القرار من قبل السلطة الحاكمة والأفراد في المدينة الإسلامية ، نخلص إلى توضيح هام : وهو أن مستويات التدخل السياسي في عمران المدينة الإسلامية كانت محددة بمعايير واضحة، وكل تدخل وافق هذه المعايير كان جزءا من المسيرة الحضارية ككل للعمران المديني ،أما التدخلات السياسية التي لم تلتزم بالمعايير الفاصلة المحددة بينها وبين أفراد المجتمع ، فجاءت مثالا على تدخل السلطة العليا المباشر صاحبة القرار الفردي اللازم التنفيذ والذي غالبا ما كان لأغراض تأمينية ودفاعية تصب في مصلحة الحاكم مباشرة قبل مصلحة المدينة

إذا فالتدخل السياسي مستويات متدرجة خاضعة لإطار منهجي يصنفه ولا يقيمه

وإذا تصورنا دور متخذ القرار السياسي على صورة معادلة خطية تبدأ عند نقطتها الأولى بالنموذج الأمثل الذي يأتي القرار السياسي فيه بعد تقييم المستويات السياسية المتدرجة للواقع المباشر على الأرض ودراسة المشكلات وتقديم البدائل والحلول ثم رفع القرار إلى السلطة التي تليها، فإن القرار السياسي الأعلى يكون في هذه الحالة مرشدا وموجها ومقننا للسلطة التي تليه بل وسابقا للمفاهيم التخطيطية الحديثة كالتخطيط التشاركي والحوكمة الرشيدة (كما في حالة مدن البصرة والكوفة والفسطاط مثلا)

وباستمرار سير العلاقة الخطية ، فإن نقطة نهايته الأخيرة تمثل النموذج الأسوأ الذي يأتي القرار السياسي فيه منفردا تماما ومنعزلا عن القاعدة المحلية ، بل ومضرا بها في بعض الحالات إذا ما تعارضت مع أهدافه السياسية المباشرة .

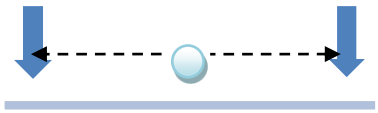

طبيعة القرار : الترشيد والتوصية
نوع الاحتياج : محلي

طبيعة القرار : السيطرة والاستبداد
نوع الاحتياج : فوقي

(شكل ٢) العلاقة الخطية التي تتخذها طبيعة القرار السياسي المصدر: الباحثة

ويلاحظ أن طبيعة العلاقة الخطية تقتضي وجود منطقة وسط بين الحكم الرشيد والحكم المستبد، إلا أن الحتمية التاريخية غالبا ما تؤكد أن كل وقوع في المنطقة الوسط هو غالبا إدعاء ظاهري يقصد به الابتعاد عن النقطة الحدية الأخيرة في الخط.

٦- المدن التاريخية في الدول الإسلامية الناشئة بقرار سياسي مباشر

يتم استعراض أمثلة لأهم المدن التاريخية في الدولة الإسلامية التي نشأت بقرار سياسي مباشر ويطبق على ما حدث فيها من ممارسات القرار الحاكم ووظائفه و أدوار التدخل السياسي فيها كما اصطلح عليها

٦-١ مدينة البصرة

اختيار موقع المدينة: البصرة هي أول مدينة مصرت في العصر الإسلامي خارج الجزيرة العربية ١٤هـ/٦٣٥م ، ولى أمير

[٥] Ahmed,Khaled Galal " user-controlled Housing:Towards Socio-Culturally responses Housing in Cairo, Egypt " PhdD,Welsh school of Wales,Cardiff,UK.2003

المؤمنين عمر بن الخطاب_ رضي الله عنه_ القائد عتبة بن غزوان عليها، الذي رأى ضرورة اتخاذ مدينة تكون صالحة للإقامة من جهة ، وتكون مركزا لانطلاق الجيش من جهة أخرى ، فكتب إلى أمير المؤمنين بذلك فرد عليه : ((اجمع أصحابك في موضع واحد وليكن قريبا من الماء والمرعى واكتب إلي بصفته)) فكتب إليه عتبة : ((إني وجدت أرضا كثيرة القصبة في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء)) فرد: ((هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب فأنزلها للناس)) فأنزلهم إياها فبنوا مساكنهم من القصب)) وتظهر هذه المكاتبات كيف كان قرار اتخاذ الموقع الجغرافي للمدينة الجديدة قرارا سياسيا بامتياز يخضع للتدرج السياسي بين الخليفة ووالية الذي يمثل السلطة التنفيذية المباشرة للواقع.

ولم يكن القرار التخطيطي فحسب قرارا تشاركيا بين الساسة والمجتمع ، بل حتى أدق القرارات المعمارية كمواد البناء المستخدمة خضعت للتخطيط التشاركي ، يقول البلاذري: ((وبنى عتبة مسجدا من قصب وذلك سنة ١٤هـ فيقال أنه تولى اختطاط المسجد بيديه)) ((وبنى عتبة دار الإمارة دون المسجد في الرحبة)) واختط الناس وبنوا الدور حول المسجد الجامع ودار الإمارة

وفي عام ١٧هـ ولي عليها القائد أبو موسى الأشعري ، وفي عهده تعرضت المدينة لحريق التهم قصبها فأرسل القائد أبو موسى إلى أمير المؤمنين يستأذنه في البناء باللبن بدلا من القصب فأذن له أمير المؤمنين بذلك

خط الشوارع الرئيسية: تظهر نصوص الطبري وابن أثير تفصيل التخطيط الهندسي الذي ارتآه الخليفة عمر بن الخطاب، إذ أوصى والية على البصرة بتنفيذ التخطيط الهندسي للمدينة بحيث يكون عرض الطرق الرئيسية أربعين ذراعا (حوالي ٢٠م) والمتوسطة عشرين ذراعا (حوالي ١٠م) والأزقة سبع أذرع (حوالي ٣,٥م) وأن تكون دور الناس متلاصقة ، ولا يزيد عدد الغرف في الدار الواحدة عن ثلاث ، وألا يرتفع البناء فيها أكثر من طابق واحد ، وبين أن متوسط كل محلة رحبة يبلغ طول ضلعها ستون ذراعا (٣٠م) وأن تكون خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الإمارة غير متصلة بهما.

بناء المسجد: يظهر لنا إذا أن المسجد الجامع كان أول منشأة تشيد بالبصرة على غرار المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه كيف كان المسجد الجامع يمثل في تلك الفترة نواة المدينة الإسلامية ويمكن القول أن مدينة البصرة من خلال ما يظهر من طريقة خطها على هذا النحو وبما اشتملت عليه من منشآت دينية ومدنية وما شهدته من تغير في مادة البناء والعمارة، تمثل المظهر الأول لفن التخطيط الإسلامي خارج الجزيرة العربية الذي وضعت أصوله الأولى في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وللبصرة مدينة شقيقة هي (الكوفة) وهي ثاني المدن الممصرة في الإسلام وانطبق عليها في أحوال التدخل السياسي ما انطبق على البصرة من قبل.

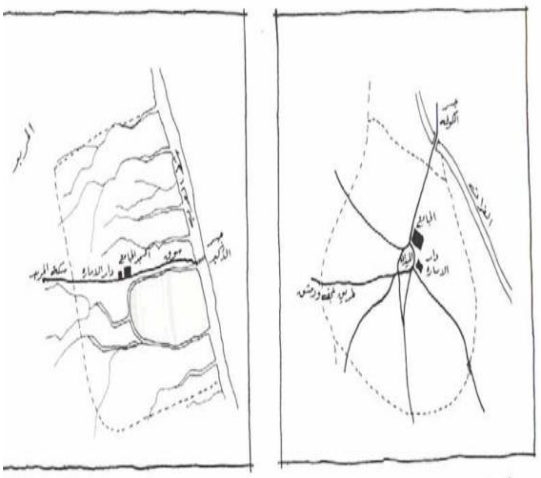

(شكل ٣) خطط البصرة خطط الكوفة

المصدر: دراسة تحليلية لبعض العوامل المؤثرة على تشكيل المدينة العربية –رسالة ماجستير – سحر عبد المنعم عطية

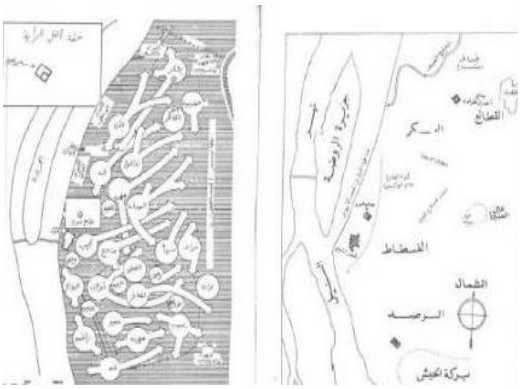

(شكل٤) تخطيط مدينة الفسطاط في القرن الأول الهجري وتوزيع خطط القبائل العربية. المصدر: آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة

٢- مدينة الفسطاط

اختيار موقع المدينة: تقع الفسطاط على الشاطئ الشرقي للنيل بجوار حصن بابليون، شيدها الصحابي عمرو بن العاص _رضي الله عنه_ بعد فتح مصر بعد عودته من الإسكندرية في عام ٢١هـ/٦٤٢م وهي ثالث المدن الممصرة خارج الجزيرة العربية بعد مدينتي البصرة والكوفة.

وقد كانت رغبة عمرو بن العاص بداية أن يتخذ الإسكندرية عاصمة وحاضرة لمصر، غير أن الخليفة عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_ رفض ذلك، فتحول عمرو بن العاص عن الإسكندرية إلى الفسطاط.

وفي المكاتبات بينهما ما يظهر سبب رفض الخليفة لاتخاذ الإسكندرية عاصمة جديدة ، يقول ابن الحكم: ((أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية و رأى بيوتها وبناءها مفروغا منها ،هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل فكتب عمر إلى عمرو بن العاص إني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فتحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى الفسطاط)) [٦] وهي نظرة استراتيجية بعيدة المدى تراعي الظروف الجيوسياسية للمدينة الجديدة .

بناء المسجد الجامع ودار الإمارة : شيد عمرو بن العاص المسجد الجامع بالفسطاط ودار الإمارة وشيدت خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الإمارة على غرار خطط القبائل في البصرة والكوفة ، ما يجعلها امتدادا لمدينتي البصرة والكوفة .

خط الاقطاعات :لما وجد عمرو بن العاص تنافس القبائل على المواضع المحيطة بالمسجد اختار أربعة من قواده يمثلون القبائل الكبرى للفصل بين المتنافسين[٧] ، وباشر هؤلاء توزيع الخطط على القبائل ، وعند هذا الحد يقف دور السلطة السياسية إداريا في المدينة ، حيث يقف عند التخطيط العام والإشراف على المناطق الرئيسية ، وتولت كل قبيلة بعد ذلك تقسيم خطتها بين أعضائها[٨].

تحصين المدينة: أنشأ عمرو بن العاص حصنا في الجيزة عام ٢٢هـ/٦٤٣م بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب _رضي الله عنهما_ كأول حصن داخلي يشيد بمصر الإسلامية [٩]

_ظهر في الفسطاط نوع من **العمائر الحربية** أطلق عليها اسم (المحارس) منها "محرس عمار" "محرس بنانة" "محرس الحريص" " محرس النخل" "محرس قسطنطين" "محرس خوى بن خوى" والمرجح تاريخيا أن تلك المحارس لم تكن حصونا أو قلاعا كبيرة، وإنما كانت منشآت بسيطة تتوسط خطط القبائل أو تقع على حدودها معدة لحراسة كل قبيلة، أو أنها كانت نقاطا متفرقة في الفسطاط لإقامة الجند لحراستها[١٠]

---

[٦] المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين: د. عبدالله كامل موسى عبده –دار الآفاق العربية

[٧] ابن عبد الحكم ،فتوح مصر

[٨] – المصدر السابق

[٩]. ابن دقماق – الانتصار

[١٠] د. محمود الحسيني – التطور العمراني لعواصم مصر الإسلامية – ص٢٦

٦-٣ مدينة بغداد (نموذج للتخطيط السياسي)

تمتاز بغداد (مدينة السلام) بكونها أكثر المدن الإسلامية مركزية في التخطيط والبناء، وإذا كانت مدينة الكوفة قد أخذت طابعا مدنيا، وواسط جسدت الطابع السلطوي القوي، فقد جمعت بغداد كعاصمة لدولة الخلافة العباسية بين المدينتين ثم تجاوزتهما، فتخطيط بغداد اعتبر في حد ذاته محصلة للتجربة العمرانية الإسلامية

اختيار موقع المدينة: كانت الظروف السياسية التي دفعت بالخليفة المنصور إلى إنشاء عاصمة جديدة سنة ١٤٥ مرتبطة بالرغبة في تأمين الدولة الناشئة مما قد تتعرض له من مخاطر في الكوفة، حتى اختيار موقعها الجغرافي في وسط العراق كان للبعد عن دمشق ذات الولاء الأموي، وبهذا سيطرت السلطة المركزية على أغلب القرارات المشكلة لتكوين المدينة كالسور والطرق والمسجد والسوق.

وتذكر المراجع التاريخية أن الخليفة المنصور بنفسه هو من مثّل صفة المدينة كما تصورها وهو من أمر أيضا بجعلها مدورة [١١]

وبتتبع أوصاف المؤرخين، خرجت استنتاجات متشابهة إلى حد كبير تصف شكل المدينة تؤكد كلها على سيطرة المفاهيم الدفاعية على تكوين بغداد التخطيطي والمعماري، نذكر منها توصيفا على النحو التالي[١٢] :_

بناء الأسوار: حصنت المدينة بثلاثة أسوار محاطة بخندق مليئ بالماء **لتحصين المدينة كلها.**

_ بين السورين الخارجي والأوسط، فصيل خارجي عرضه مائة ذراع، خالي من الأبنية، وذلك **لغرض الرقابة والدفاع.**

_ سور أوسط سمي بالسور الأعظم عرض أساسه تسعون ذراعا ثم يقل ليصير في أعلاه خمسة وعشرين ذراعا، وارتفاعه ستون ذراعا.

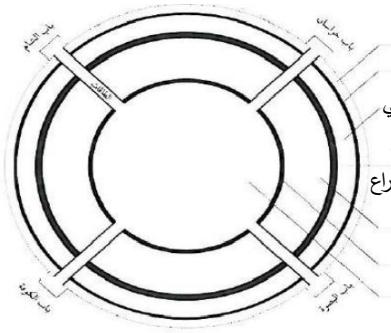

(شكل ٥): أسوار مدينة بغداد
المصدر عمارة الأرض في الإسلام – جميل عبد القادر أكبر

_بين السورين الأعظم والداخلي فصيل داخلي للسكني عرضه ثلاث مائة ذراع.

الفصل بين مقر الحكم والسكان: يفصل السور الداخلي (الثالث) بين الفصيل الداخلي والرحبة العظمى التي يتوسطها قصر المنصور والمسجد الجامع.

_تشق هذه الأسوار والفصيلين أربع طرق رئيسية متشابهة كل منها ذات طاقات – الطاقة مكان مربع أو مستطيل واجهته ذو حنية مقوسة تفتح على الطريق – بها المحلات من الجانبين ومتجهة من البوابات الخارجية الأربع إلى مركز دائرة المدينة مقسمة بذلك المدينة المدورة إلى أربع ربعيات (quadrants)

وفي تصور تاريخي آخر يرى أن المدينة قسمت إلى ثلاث مناطق دائرية متداخلة ذات مركز واحد[١٣]

[١١] الطبري – تاريخ بغداد مدينة السلام – الحافظ بن أحمد بن علي الخطيب البغدادي

[١٢] معظم هذه التوصيفات لمستشرقين أمثال : كريسويل و ليسترانج ووهرتسفيلد .

[١٣] Lassner لاسنر

_فالمنطقة الدائرية الداخلية وهي الرحبة تحوي: قصر الخليفة المنصور والمسجد الجامع ودار للحرس وسقيفة لصاحب الشرطة وصاحب الحرس

_ المنطقة الدائرية الوسطى لسكن أولاد المنصور وخدمهم، وبيت المال وخزانة السلاح والدواوين كديوان الخراج والرسائل والجند.

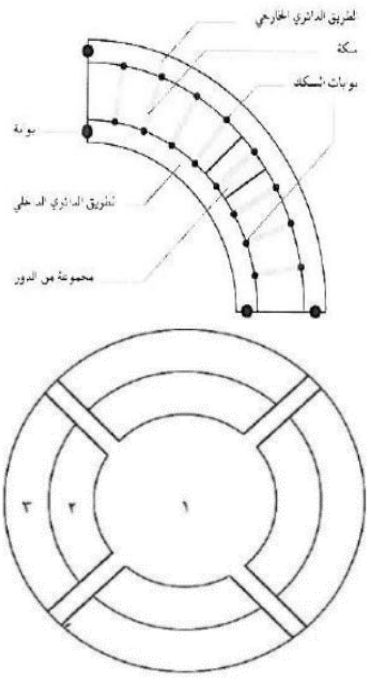

المنطقة الدائرية الخارجية لسكن قادة المنصور ومواليه

(شكل ٦) :تصور التخطيط الخارجي لمدينة بغداد ، المصدر : جميل عبد القادر اكبر ،عمارة الأرض في الإسلام

كما هو ظاهر، فإن الفرق بين التصورين هو نص الأولى على وجود منطقة سكنية دائرية واحدة والثانية على وجود منطقتين ، بينما يتشابهان في وصف المنطقة السكنية .

خط الإقطاعات للسكان: ومن بين الأساليب الدفاعية في تخطيط المدينة ، ما ظهر في جعل كل منطقة سكنية دائرية (ربعية) مقسمة ما بين ثمان واثنتي عشرة مجموعة من الدور ، تفتح على سكك لها أبواب وثيقة من الطرفين ، وتفتح أبواب السكك على طريقين دائريين ، أحدهما داخلي والآخر خارجي ولا تفتح على الرحبة .

وهذان الطريقان يفتحان على طريقين من الطرق الأربع الرئيسية ذات الطاقات ، والموصلة بين باب المدينة والرحبة[١٤]

و زيادة في فصل السلطة المركزية ،تم إقطاع القطائع للناس خارج سور المدينة تفصلهم عن النقطة المركزية لسكنى الخليفة دائرة القادة والجند وأهل الثقة كما أسلفنا[١٥]

_ كما تم إنشاء (الرصافة) و(الكرخ) كمراكز استيطانية مجاورة للمدينة، تحقق أهدافا تأمينية للخليفة، مظهرة في الوقت نفسه ثنائية عمرانية جديدة ذات هدف سياسي وهي: المدينة والأرباض.

فقد كانت أسوار بغداد تقع بعد مركز المدينة أو على حدوده، غير أن المنصور اتخذ قرارا لاحقا بنقل الأسواق خارج المدينة، وبهذا يظهر واضحا تردده بالنسبة للنموذج الكوفي المديني، فقد أرادها مدينة ملكية وفي نفس الوقت تامة المكونات _الحزام السكني يؤيد التصور الحضري للمدينة على النمط الكوفي _ وارتبط نقل الأسواق برواية تاريخية، تتعلق بنصيحة أسداها رسول ملك الروم أو إشارة من أحد رجال الدولة إلى المنصور مفادها: ((أن الغرباء وغيرهم يبيتون فيها ولا يؤمن أن يكون فيها جواسيس))[١٦]

الرصافة: كل منبت للسواد وغلب على محلة ببغداد

الكرخ: يساق إليها الماء، والسواد، والحالقة وهي سوق في بغداد / المصدر: معجم لسان العرب

---

[١٤] اليعقوبي – كتاب البلدان

[١٥] جميل عبد القادر أكبر – عمارة الأرض في الإسلام

[١٦] خالد عزب – الحجر والصولجان

وبهذا الوصف التفصيلي يظهر لنا كيف بدت بغداد وكأنها بنيت خصيصا لأغراض دفاعية وتحصينية .

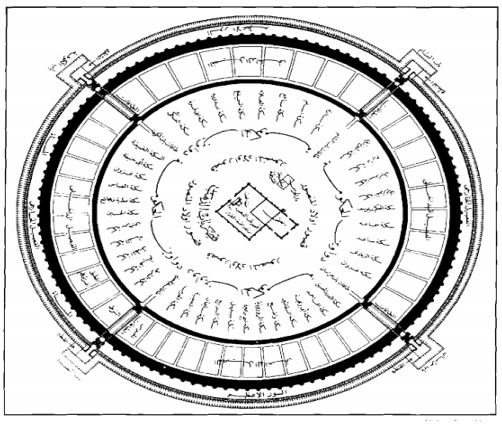

(شكل ٧) : عمران مدينة بغداد المستديرة – المصدر السابق

٦-٤(القاهرة): المدينة الحصن

اختيار الموقع

أنشئت القاهرة لتكون "مدينة ملكية" وعاصمة للدولة الفاطمية ، بعد انتقالهم من (المهدية) في تونس ، ما سبب تأثيرا سلبيا على مكانة المهدية كعاصمة . وعلى النقيض للمهدية ، زاد الثقل السياسي والعمراني للقاهرة كعاصمة بازدياد نفوذ الدولة الفاطمية الحاكمة لها ، وأريد للقاهرة أن تكون بالنسبة للفسطاط كالمنصورية بالنسبة للقيروان وذلك بأمر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي لقائد جيشه جوهر الصقلي، أي أن تكون عاصمة ملكية تحتضن الدولة الجديدة التي تنازع الدولة العباسية عرش خلافة المسلمين

تغليب الصالح العام على الخاص: انعكس الرسم الملكي على تخطيطها وتحديد مكوناتها المعمارية ونظام الارتفاق فيها لتتناسب مع الوظيفة التي أنشئت لأجلها ، ولا يمكن تجاهل امتياز القاهرة عن العاصمتين السابقتين (العسكر والقطائع) المدينتين بالولاء للخلافة العباسية وإن تمتعتا باستقلال نسبي ، بكونها حمّلت بأهداف استراتيجية ودينية بعيدة الأمد ، فلم يكن الحكم الفاطمي مجرد انتقال الحكم من حكومة إلى أخرى ، بل شكل انقلابا دينيا وأيدلوجيا واجتماعيا بعيد الأثر يحمل مشروعا كاملا للتغيير والسيادة السياسية المدعومة فكريا بمعتقدات مذهبية تؤمن بأحقية الطائفة الشيعية في حكم الدولة الإسلامية ، فجاءت القاهرة بموقعها المتوسط ومواردها المتعددة حاضنة للحلم الفاطمي الشيعي

الفصل بين الحاكم والسكان

ترجح المصادر التاريخية أنه لم يكن في نية الخليفة الفاطمي وقائده تأسيس مدينة بالمعنى العادي المألوف ، فقد أوضح ابن دقماق والمقريزي الغرض الذي رمى إليه جوهر الصقلي من بناء القاهرة ، فتبعا لابن دقماق ترك جوهر مسافة مناسبة بين المدينة الجديدة وبين الفسطاط ليكون الخليفة الفاطمي وأهله وأعوانه وجيوشه بمعزل عن عامة الشعب ، ويضيف المقريزي بأن القاهرة : ((بنيت لتكون منزل سكنى الخليفة وحرمه وجنده وخواصه ومعقل قتال يتحصن بها ويلتجأ إليها)) ويضيف : ((لم تزل دار خلافة ومنزل ملك ومعقل قتال لا ينزلها إلا الخليفة وعساكره وخواصه الذين يشرفهم بقربه فقط))

ويرى هنري كاسل كاي أن ذلك كان خاضعا لسنة استنها الفاطميون من قبل عند تأسيس المنصورية عاصمتهم في إفريقية التي كانت منعزلة بقدر كاف عن القيروان، فكانت المنصورية هي الأنموذج الذي حاكته القاهرة[١٧]

إذا يمكننا القول أن (القاهرة) المسورة مثلت العاصمة السياسية والإدارية التي يقطنها الخليفة وفرق الجيش، بينما شكلت (الفسطاط_العسكر_القطائع) العاصمة "المتروبولية" لمصر Metropole: أي التجارية و الاقتصادية و العملية للبلاد.

[١٧] أيمن فؤاد سيد – القاهرة خططها وتطورها العمراني

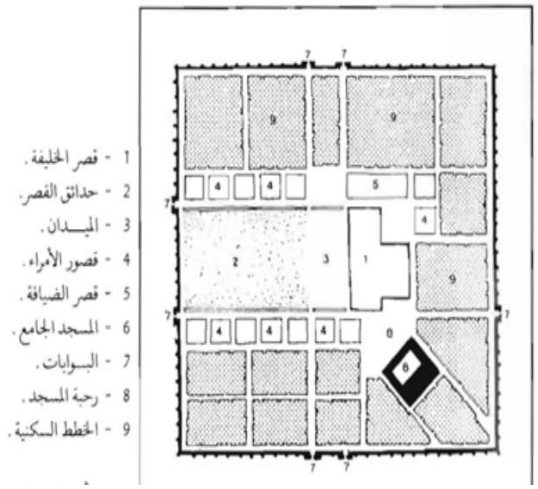

(شكل٨): مخطط مدينة القاهرة

المصدر: النظرية العمرانية في العمارة الخلدونية – طارق والي

وهذا الفصل لم يستحدث في القاهرة، فقد اتبع من قبل عند تأسيس مدن ملكية وأميرية سابقة، فكان هذا هو الحال في بغداد وسامراء والقطائع والمهدية والمنصورية، وهو النظام نفسه الذي اتبعه صلاح الدين فيما بعد عندما بنى قلعة الجبل فانتقل إليها مقر السلطان وثكنات الجيش ودوواوين الدولة .

وتجسد شوارع القاهرة الفاطمية وميادينها وهيئة المواكب التي تمر بها الرؤية السياسية التي هدف الفاطميون إلى تأصيلها، ممثلة في إضفاء المهابة والفخامة على الكيان السياسي الفاطمي، وما يحدثه ذلك في نفوس العامة من ردود للفعل

تبلورت في هيئة النظام الجديد ومحاولة التكيف معه والإذعان لاتجاهاته.

ثم بنهاية حكم الفاطميين وبداية حكم الدولة الأيوبية ، انتهى دور المدينة كمركز للسلطة السياسية ،واتجهت سياسة صلاح الدين الأيوبي لضم القاهرة مع العسكر والفسطاط والقطائع في مدينة واحدة عامة ، تذويبا للاتجاه السياسي الفاطمي الرامي إلى جعل القاهرة مدينة ملكية، وبإنشاء القلعة خارج المدينة تعبيرا عن المشروع الدفاعي الذي حمله صلاح الدين في وجه الغزوات الصليبية ، فكانت القلعة مقرا للحكم من منظور يحقق الأمن لمركز السلطة ، أدى هذا التحول السياسي لمدينة القاهرة إلى تحول في تكويناتها العمرانية و المعمارية التي أخذت في التبدل تكيفا مع الصفة الجديدة للمدينة ،بينما امتدت الأنشطة التجارية والحرفية لتشغل الأماكن التي شغلتها قبلا قصور الفاطمية فتحولت القاهرة بذلك إلى مدينة للعامة ، وارتبط عمرانها بالمدن التي تقع إلى الجنوب منها[١٨].

وبهذا تشكلت المدينة تشكيلا ماديا جديدا يتلاءم مع الوضع السياسي الجديد .

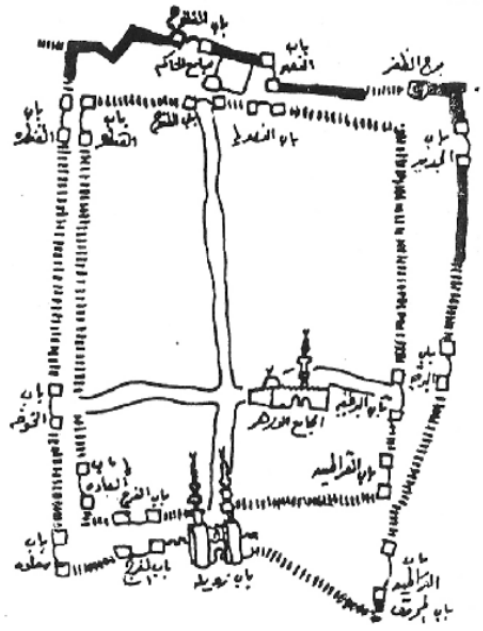

(شكل ٩) : بناء أسوار القاهرة الفاطمية ،سور جوهر الصقلي

[١٨] أندريه ريمون – جغرافية الأحياء الأرستقراطية بالقاهرة في القرن الثامن عشر – ترجمة زهير الشايب – مجلة تاريخ العرب – ص٧٠

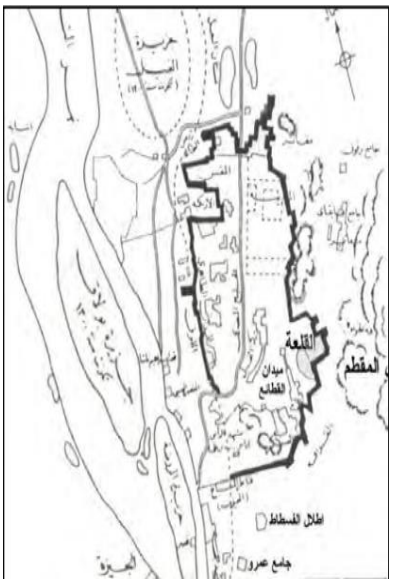

(شكل١٠) تطور القاهرة في عصر الدولة الأيوبية.
،سور بدر الدين الجمال
المصدر : محمد عفت عبد المؤمن مطر _قلعة الجبل

باستعراض وتحليل عدة حالات لإنشاء المدن في التاريخ الإسلامي مجال البحث نلاحظ كيف أثر التدخل السياسي في البنية الحضارية للمدينة الإسلامية ويمكن إجمال كيفية انعكاس القرار السياسي الحاكم على قراراتها المدينية سواء على مستوى التأسيس أو على مستوى العمران على النحو التالي :

١- قرار إنشاء وتأسيس المدن والعواصم الإسلامية كان قرارا سياسيا وليس شعبيا في أغلب الأحيان .

٢-الدافع الأساسي للإنشاء كان أيضا لأبعاد جيوسياسية geopoliticalكتغيير مقر الخلافة أو تقسيم الأمصار أو التحصن الدفاعي أو إثبات واقع سياسي جديد.

٣-العوامل الحاكمة لاختيار الموقع كانت تجمع ما بين التأمين والاستدامة الحياتية كحالة الفسطاط أو البصرة أو تقوم على أسس الحماية الفردية الخاصة للفئة الحاكمة كبغداد والقاهرة.

٤-قامت عملية خط المدينة على أساس تقسيم الأدوار بين السلطات، فتقوم الدولة بتخطيط الاقطاعات وتوزيعها على فئات ما ليعمروها وينموها في حين تقوم هي بإنشاء الكيانات السيادية والدينية التي تتوافق مع دورها السياسي.

٥-يقوم الأفراد والمجتمع بتنظيم بيئتهم العمرانية مسترشدين بصيغ وأعراف منها ما هو ديني ومنها ما هو توافقي مجتمعي.

ونلخص علاقة القرار الحاكم بالصيغ الموجهة له والمحددة لنطاق تدخله في المدن التاريخية الإسلامية في الجدول التالي:

الدور السياسي	البصرة	الفسطاط	بغداد	القاهرة
اختيار الموقع	√	√	√	√
تحديد مركز المدينة	√	√	√	√
بناء المسجد ومقر الحكم	√	√	√	√
خط الاقطاعات للسكان	X	X	√	√
بناء الأسوار	X	X	√	√
الفصل بين الحاكم والمحكوم	X	X	√	√
تغليب الصالح العام على الصالح الفردي	√	√	X	X

(جدول ١) : علاقة القرار الحاكم بالصيغ الموجهة له في المدن الإسلامية الأربع – المصدر : الباحثة

من خلال ما سبق يمكن تحليل **مستويات التدخل ما بين السلطة الحاكمة والسلطة المجتمعية في المدن التاريخية الإسلامية** من خلال **مخطط Macro Level** تتصف فيه أدوار التدخل ما بين السلطة الحاكمة وأفراد المجتمع ممثلة الحالة المتوازنة شكل (ب) أو تتغول السلطة السياسية على السلطة الشعبية بحيث تفرد لها مساحات ضئيلة للقرار شكل (أ) ، أو تفرد السلطة السياسية مساحات أكبر للقرار الشعبي ممثلة الحالة الخاصة في تاريخ الدولة الإسلامية شكل (جـ) وذلك على النحو التالي:

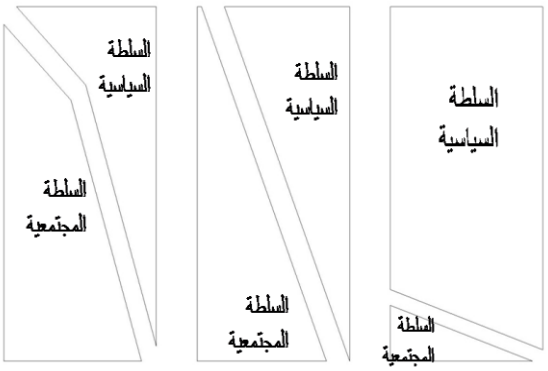

شكل (أ) شكل (ب) شكل (جـ)

شكل (١١) **مخطط Macro Level** يوضح مستويات التدخل بين السلطات السياسية والمجتمعية في المدينة

المصدر : الباحثة

٧- المدن الحديثة في الدول الإسلامية المنشأة بقرار سياسي مباشر

في الجزء التالي يتم استعراض المدن الحديثة التي نشأت في دول إسلامية بقرار سياسي مباشر، وكيف أثرت طبيعة القرار السياسي على نشأة المدينة الحديثة وتطورها، ثم تعقد مقارنة بينها وبين المدن التاريخية القديمة في الدول الإسلامية من حيث أثر القرار السياسي على كل منهما، ومن ثم نستخلص ما يجمعهما من متشابهات وما يظهر بينهما من فروق، لعل أهمها التنبه إلى الفروق المحورية المكونة لجوهر وروح المدينة الإسلامية ذاتها بين الماضي والحاضر.

ونستعرض أمثلة لمدن جديدة في دول إسلامية حديثة أنشئت لتكون عاصمة جديدة للبلاد بقرار سياسي مباشر ولخدمة هدف سياسي وأثر الفكر السياسي الحاكم فيها تأثيرات جوهرية ومستمرة، يلاحظ أيضا أن المدن المنشأة الحديثة غالبا ما تكون مدن عواصم.

٧-١ مدينة أبوجا عاصمة نيجيريا الجديدة:

نيجيريا هي أكبر دولة إسلامية في القارة الأفريقية من حيث تعداد السكان، خضعت للاستعمار البريطاني منذ أواخر القرن التاسع عشر، والذي قسمها إلى مستعمرتين (مستعمرة شمال نيجيريا) و(مستعمرة جنوب نيجيريا)، ثم نالت نيجيريا استقلالها عام ١٩٦٠. بعد ذلك عانت من الحرب الأهلية لعدة سنوات _يعيش في نيجيريا ٥٠٠ جماعة عرقية _ **وجاء قرار تخطيط عاصمة جديدة كحل سياسي في المقام الأول للتوفيق بين الإثنيات المختلفة** ، فأصبحت (أبوجا) عاصمة نيجيريا الجديدة رسميا في ١٢ ديسمبر ١٩٩١ بدلا عن(لاغوس) العاصمة القديمة ، **ورمزا لحيادية الدولة** وبذلك انضمت نيجيريا إلى البرازيل وباكستان وبوتسوانا وملاوي وتنزانيا المخططة لعواصم جديدة في العصر الحديث .

وتعد العاصمة الجديدة مثالا حيا على إنشاء المدن لغرض سياسي مباشر.

٧-١-١ الأسباب السياسية المؤثرة على قرار إنشاء العاصمة الجديدة واختيار موقعها

اجتمعت عدة أسباب شكلت بشكل مباشر القرار السياسي المقتضي بإنشاء عاصمة جديدة وتحديد موقعها وهي :

١- في جميع المراحل السياسية التي مرت بها الدولة (الاستعمار البريطاني – التوسع الاستعماري – السيادة المحلية والاستقلال) أثيرت خلافات ذات دوافع سياسية حول الطريقة والمكان الأنسب الذي يجب أن تدار منه البلاد ،أي ان فكرة العاصمة الجديدة مطروحة منذ مدة .

٢- مع اضمحلال الاستعمار البريطاني كانت إدارة البلاد مقسمة (شمالية /غربية / شرقية) وتحكم كل منطقة منها بنظام حكم مختلف وكل منهم له نظريته الخاصة في إدارة الحكم ، ومع ظهور التوجهات القومية **ظل مكان مركز الحكومة نقطة خلاف سياسية بين القيادات الإثينية الذين انقسموا ما بين مؤيد ومعارض لإنشاء العاصمة الجديدة** في سبيل تحقيق التأثير الأكبر على حساب الطرف الآخر

٣- من الغريب أن فكرة النزاع حول مكان العاصمة الجديدة كانت مقدمة على هدف إنشاء نيجيريا الموحدة، إذ رأت الأعراق المتنازعة أن موقع العاصمة الجديدة هو أكبر إثبات على الهيمنة والقوة

٤- **جاء اختيار موقع أبوجا في منطقة حيادية (متعادلة) بين الإثنيات المتنازعة في وسط نيجيريا تقريبا**، بينما كان موقع العاصمة القديمة يقع في جنوب البلاد بعيدا عن سكان المنطقة الشمالية.

٥- تأسست لجنة سياسية مختصة بدراسة قرار إنشاء العاصمة الجديدة سميت (لجنة أجوبا) رأت **أن تحديد الموقع لابد أن يعبر عن الحل السياسي المرجو من المدينة الجديدة** ، وأوصت باختيار منطقة فضاء واسعة تبنى عليها مدينة حديثة تعبر بشكل صريح عن قوة نيجيريا الموحدة وثراء الدولة الجديدة[١٩]

٦- المقترح الأولي في فترة الاستعمار كان مدينة (كادونا Cdauna) التي تنطبق عليها مواصفات التوسط في الموقع والأرض الفضاء ،ولكن الفكرة وئدت سريعا بسبب الخلافات السياسية بين اثنين من الجنرالات العسكريين المتولين للحكم في تلك الفترة والتي كان أحدهما مؤيدا لكادونا والثاني معارضا لها.

٧- استعانت الحكومة بالخبرات الأجنبية بشكل كبير جدا تم تبريره بالرغبة في الحصول على التطور السريع والنتائج المبهرة التي لا تتوفر في العنصر المحلي

٨- نشرت عدة مقالات من قبل أحد أعضاء اللجنة المؤيدين لفكرة نقل العاصمة تدعو إلى ترك لاغوس وبناء عاصمة "شابة ومخططة على الورق " على غرار برازيليا وشانديجرا ولابد أن تكون طرقها واسعة تستوعب (٨ حارات)، مؤكدا على أن البديل الوحيد المتاح لبقاء لاغوس كعاصمة هو "هدمها بالكامل وإعادة بنائها "

٩- تشكلت اللجنة بحيث يكون الجزء الغربي ممثلا بعضوين ما أتاح لهم الأغلبية على حساب ممثلي المناطق الشمالية والشرقية

١٠- في تقريرها النهائي أوصت اللجنة (المكونة من ٧ أفراد ممثلين عن كل إقليم ٢ منهم فقط من الأكاديمين المختصين في الجغرافيا والتخطيط) باختيار موقع متوسط يميل للشمال قليلا وتحديدا ناحية قبيلة الهوسا الأكثر عددا في البلاد ورأت أن مهمة الاختيار النهائية من المناسب أن تختارها القيادة السياسية والحكومة الفيدرالية العسكرية لا اللجنة العلمية مع الأخذ بعين الاعتبار المعايير الأساسية، وذلك حفاظا على استقرار البلاد.

١١- تم إنشاء هيئة فدرالية خاصة بنقل العاصمة F.C.D.A وتم اختيار أعضائها على حسب انتماءاتهم السياسية بعيدا عن المعايير العلمية.

١٢- كان الموعد المحدد لنقل العاصمة في عام ١٩٨٦ إلا أن **رئيس البلاد في ذلك الوقت (الرئيس شجاري) اتخذ حزمة من الإجراءات تفضي جميعا إلى تعجيل موعد النقل ب ٤ سنوات** بحلول عام ١٩٨٢، وفي ضوء الاعتراضات العلمية التي ترى

---

[١٩] The political History of Nigeria s New Capital By: Jonathan Moore, The journal of modern African studies22,1(1984)

أنه إذا كان النقل بحلول موعد ١٩٨٦ يعد أمرا بالغ الصعوبة، فإنه بحلول عام ١٩٨٢ يعد أمرا مستحيلا

ولا يمكن تفسير الرغبة الشديدة في التعجيل إلا من خلال فهم الاعتبارات السياسية له ، وهي :

أ–الانتخابات الرئاسية الثانية كانت تحل في عام ١٩٨٣ ، فرأى الرئيس أن النقل يجب أن يتم قبل موعد الانتخابات بشكل كاف .

ب–لم تعد العاصمة لاغوس **مستقرا سياسيا مناسبا بالنسبة للرئيس شجاري** ، وكان يعي حجم المشاكل المقبلة إذا ما استمرت حملته في لاغوس .

ج–**بنقل العاصمة فإن الرئيس يعزل نفسه عن أقرب منافسيه جغرافيا كما أن موقع العاصمة الجديدة أكثر هدوءا وأقرب للشمال الموالي له** ، وهي من وجهة نظره المكان "المسالم " الأنسب لمركز الحكومة .

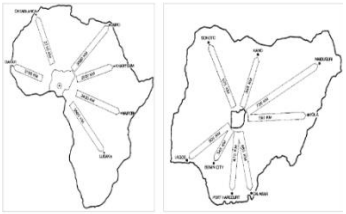

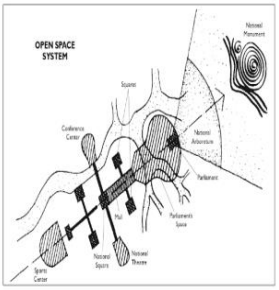

(شكل ١٢): الموقع الجيوسياسي للعاصمة الجديدة

المصدر : The political History of Nigeria s New Capital By: Jonathan Moore, The journal of modern African studies22,1(1984)

د–إذا لم يتم انتخابه **فإن التاريخ سيسجل له أنه هو من أرسى قواعد العاصمة الجديدة** المنتظرة منذ سنوات

هـ–أشار الرئيس في أكثر من مرة أن مشروع العاصمة الجديدة هو **مشروع سياسي في المقام الأول** .

٧–١–٢الانعكاس المباشر للاعتبارات السياسية على العاصمة الجديدة .

اختلفت الاعتبارات السياسية التي صاغت القرارات التخطيطية للمدينة ،فمنها ما تعلق بإرساء الحكم الجديد ومنها ما تعلق بالرؤية التخطيطية للمدينة وطريقة تنفيذها والمعدل السريع للإنشاءات وكانت على النحو التالي :

١– بعد تعرض البلاد لانقلاب عسكري قام به الجنرال شجاري اعتبرت **العاصمة الجديدة مقرا جديدا ومناسبا لإرساء الحكم الجديد** ، وقد خاطب منسق الجيش الخاص بالمشروع الهيئة القائمة على التنفيذ بأنه " يتوقع منهم العمل بتجانس وكفاءة وفعالية في أسرع وقت ممكن " ، وأضاف بأنه "مهتم أكثر بإنهاء المشروع بشكل سريع" وتجاهل ما أسماه " الفوارق البسيطة في التخطيط البنائي "

٢– وقع التخطيط والتنفيذ على عاتق سلسة من الأنظمة المختلفة ، لكن العمل المبدئي وبداية التنفيذ كان في مرحلة الحكومية العسكرية بقيادة الجنرال مورتالا محمد ، الذي تلته حكومة مدنية ، ورغم اختلاف الرؤى والتوجهات بين الحكومتين إلا أن **الاعتبارات السياسية ظلت هي المتغلبة على القرارات التخطيطية والمعمارية**

٣– في إطار الاستعداد ليوم الاستقلال النيجيري المزمع الاحتفال به في أبوجا ، تم إنشاء مقر رئاسي مؤقت وقاعة احتفالات كبرى استعدادا لهذه المناسبة ، **وتم تعجيل جدول الإنشاءات للحاق بالمناسبة الوطنية** ما أثر لاحقا على جودة المنشآت ومتانتها .

٤– تم الوصول إلى المعدل السريع في الإنشاءات عن طريق تحقيق عدة إجراءات منها ما كان **ذو شق سياسي مثل تشكل القرار السياسي في صورته البيروقراطية بحيث يدعم عملية تسريع الإنشاء** ووضع مخططات الحكومة الفيدرالية العسكرية الإنشائية بحيث تعمل في أكثر من مشروع بدلا من إتمام مشروع واحد ما يجبر الحكومات التالية لها على استكمال المنشآت

٥- انعكست عملية التسريع غير الممنهجة على كفاءة المشروعات في المدينة فأصبح المراقبون الأجانب والمحليون يصنفون أجوبا على أنها مثال حي لل "الفوضى " و"الفساد " و " الهدر" وحتى الآن لم تستكمل الكثير من المخطط الإنشائي المقترح ، وما نفذ بالفعل لا يتسم بمعايير الجودة المطلوبة .

٧- ٢- إسلام أباد عاصمة باكستان الجديدة

إسلام أباد (بمعنى مقر الإسلام) هي عاصمة باكستان الجديدة تقع على شمال غربي البلاد على هضبة بوتوهار ، اختيرت عاصمة للبلاد ف ستينات القرن العشرين وانتهى العمل فيها في ١٩٦٧ وأعلنت عاصمة رسمية للبلاد بدلا عن كراتشي العاصمة القديمة .

أطلق على إسلام أباد (عاصمة المستقبل) وصممت لتتوسع بشكل خطي في صورة مروحة بدءا من نقطة مبدئية للتجاوب مع التصميم العمراني في بلد نامي كباكستان.

٧-٢-٢الأسباب السياسية المؤثرة على قرار إنشاء العاصمة الجديدة واختيار موقعها

كان للأسباب السياسية الدور الأكبر في نشأة العاصمة الجديدة على عدة مستويات مختلفة ،وذلك على النحو التالي :

١- كانت باكستان مشكلة من خليط من المجموعات العرقية الغير مرتبطة برابطة تجمعها سوى رابطة الدين .

٢- **مشروع العاصمة الجديدة قدم كمحاولة لتحديث البلاد وجمع التركيبة السكانية المختلفة في كيان موحد** لبناء باكستان جديدة متطورة وحديثة والتحول من مجتمع زراعي بدائي إلى مجتمع أكثر تطورا

٣- كانت أسباب نقل العاصمة هي **أسباب سياسية في المقام الأول** وجاء قرار النقل نتيجة للحكم العسكري مصحوبا بجدالات كثيرة حول مفهوم ووضع باكستان كجمهورية إسلامية

٤- في سنة ٥٩ جاءت الفكرة الأولية للعاصمة الجديدة عن طريق الحاكم العسكري الجنرال (أيوب خان) الذي كان يدعو إلى بناء مدينة جديدة مخططة على الطرق الحديثة تكون مقرا مثاليا للحكومة المشتتة بين أكثر من مقر غير حضاري

٥- كانت **الرؤية السياسية الخاصة بالرئيس هي الحاكمة في مشروع إنشاء العاصمة الجديدة** ، وقد قدم عدة مبررات لعملية النقل أغلبها ذات **أبعاد سياسية** وهي كالتالي :

٧-٢-٢-١الرؤية السياسية للرئيس الحاكم في فكرة النقل واختيار موقع إسلام أباد:

١- نظرا للوضع المعقد في باكستان فإن الرئيس كان يرى أن إنشاء عاصمة جديدة هو الحل الأمثل لتوحيد قطاعات الشعب، وأكد أن عاصمة أي بلد هي المكان الذي يمثل طموحات الشعب وأحلامه، ومن الخطأ أن تقام على مدينة قديمة، بل لابد أن يكون لها مجموعة من الخصائص الملبية لهذه الطموحات في مكان يوحد المنطقتين الرئيسيتين على أرضية مشتركة ولا يتم ذلك إلا بأخذهما سويا إلى مكان جديد[٢٠]

٢- كان الجنرال يرى أن حتمية النقل تنبع من إدراكه الشخصي لل "المثيرات السياسية " و"تأثيرات الفساد" و"التحكم في اقتصاد المجتمع " و "سطوة مجتمع الأعمال" التي يغرق فيها قطاع الخدمة المدنية في العاصمة الحالية (كراتشي) حينئذ

٣- العوائق الجغرافية والإثنية واللغوية التي قسمت غرب باكستان من البنجال في الشرق يمكن تحسينها

[٢٠] Co-existing contrasts Pakistan: Evolving Expressions of diversity in Architecture / youlin magazine

بأرضية مشتركة تم تحديدها لتقوية الهيمنة السياسية والاقتصادية للجناح الغربي في باكستان

٤- أراد بإنشاء عاصمة جديدة منح إدارته شكلا خارجيا جديدا و " نظيفا " ونقل العاصمة شمالا هو ما سيوفر هذا المناخ الصحي فيزيائيا وأخلاقيا

٥- بالنظر إلى جميع المعطيات فإن موقع إسلام أباد هو المكان الأنسب "كحصن وطني"

٦- إضافة إلى مميزاتها الجيوسياسية والجيوستراتيجية التي تتمتع بها إسلام أباد ، فإنها قريبة من إقليم كشمير المتنازع عليه مع الهند ، إضافة غلى المسافة الآمنة من حدودها مع إقليم البنجاب في الهند.

٧- التفسيرات العامة للجنرال أيوب ترتكز في أساسها على : رمزية دور المدينة في توحيد وتقوية هوية الأمة ما بعد الاستقلال معبرا عن ذلك في أكثر من مناسبة بقوله: **(إسلام أباد كانت دائما تمثل حلما لي)**[٢١].

٧-٢-٣الانعكاسات المباشرة للاعتبارات السياسية في قرار إنشاء العاصمة

ظهر تأثير القرار السياسي على المدينة بدءا من اختيار موقعها وحتى تحديد أماكن القطاعات السكنية فيها وذلك على النحو التالي :

١- تشترك إسلام أباد مع غيرها من المدن المخططة الحديثة في **خضوعها لقوى أكبر سياسية واقتصادية وثقافية** ويرتكز تحقيق هذه القوى على طموحات السياسيين والمعماريين.

٢- خططت إسلام أباد لتختلف عما سبقها من العواصم والمدن الجديدة في العالم مثل برازيليا وواشنطن وتشانديجار بحيث كانت هذه المدن مصممة كمنطقة محددة وبتركيب ثابت ، بينما صممت إسلام أباد لتبدأ من نقطة مركزية في أعلى شكل المروحة المصممة عليه ثم تمتد بمرور الوقت ، أي يمكننا القول أنها مدينة ديناميكية وليست استاتيكية

٣- وكلت مهمة تخطيط المدينة إلى شركة أجنبية كبرى وتم الموافقة على Master Planسنة ١٩٦٠ وصممت لتكون ذات شوارع واسعة محددة بالأشجار والأحزمة الخضراء ومقسمة لقطاعات سكنية مخططة وأماكن تجارية محددة واستعمالات محددة للأراضي

٤- فوضت حكومة باكستان المعماري الأمريكي إدوارد دورل ستون لتصميم أهم ٣ منشآت في المدينة وهي (مقر الحكم / مبنى البرلمان / مجلس الوزراء) ، إضافة إلى جامعة القاضي عزام ، وفسرت التصريحات الرسمية للمسؤلين في الحكومة سبب اختيار المعماري الأمريكي " لحبه للطراز المغولي" ومع ذلك فإن ما أنتج من تصميمات جاءت بعيدة كل البعد عن الطراز المغولي أو التراثي بصفة عامة وخرجت المنشآت المعبرة عن الدولة بتصميمات حداثية وخطوط صريحة مستقيمة

٥- نموذج مركز المدينة جاء مغايرا لما قدم في Master Plan الذي جاء فيه مبنى البرلمان الذي حظي بامتياز أن يحتل موقعه الطرف المنفصل لمحور المدينة

٦- التطور التالي ذو البعد السياسي في التصميم العمراني هو وضع تصور لمنطقة ثلاثية الأذرع تعزل الفروع الثلاثة الرئيسية للحكومة عن باقي مناطق المدينة

٧- من الأمور اللافتة في تصميم المدينة وتحديدا القطاعات السكنية فيها **ذات الانعكاس السياسي المباشر ،هو تحديد الموقع السكني للسكان تبعا لرتبة الشخص في الترتيب الهيراركي العسكري** فالجنود يخصص لهم ثكنات على الأطراف وضباط الصف لهم أماكن أكبر والضباط الأقل رتبة وفرت لهم غرف إضافية للخدم والضباط الذين يعلونهم في الرتبة خصصت لهم ٤أماكن للخدم وكل مستوى أعلى تزيد درجة امتيازاته .

والتدرج المدني يوازي تقريبا العسكري باستثناء أن العاملين من الفئة الأقل غير المهارية خصصت لهم مساكن صغيرة بمواد بناء محلية .

---

[٢١] Architecture. Power & National Identity : Two newly created Capitals :Islamabad & Brasilia , lawernce J. vale

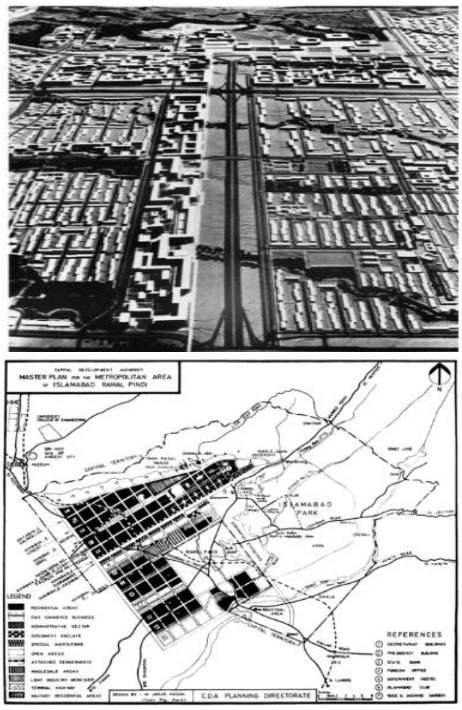

(شكل ١٣) : المخطط التصوري للعاصمة الجديدة

المصدر : Architecture. Power & National Identity: Two newly created Capitals: Islamabad & Brasilia, lawernce J. vale

٧-٣ مدينة أستانة عاصمة كازاخستان الجديدة

أستانة (أستانا) هي عاصمة كازاخستان الجديدة رسميا منذ عام ١٩٩٨، أنشأها الرئيس نور سلطان نزاربابيف عقب استقلال البلاد عن الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، وحلت محل العاصمة القديمة (ألما آتا) الواقعة عى مقربة من الحدود الجنوبية للبلاد وكانت الأستانة قبل عام ١٩٩٧ مجرد قرية ريفية صغيرة تدعى (أكمولا) تضم معسكرا قديما تابعا للجيش السوفيتي . وتعد أستانة أحدث عواصم العالم المنشأة حديثا.

٧-٣-١ الأسباب السياسية المؤثرة على قرار إنشاء العاصمة الجديدة

١-بعد أن نالت البلاد استقلالها بانهيار الاتحاد السوفيتي ،أراد الرئيس الكازاخي أن تدخل بلاده الوليدة عهدا جديدا على يديه ورأى أن أفضل أيقونة لهذا العهد الجديد هي عاصمة جديدة تماما منشأة من العدم ترمز إلى المرحلة الجديدة لانطلاقة دولة كازاخستان المستقلة والمتطورة ، وتجسد الفكرة القومية وتوحيد الدولة ومبعث فخرها الجديد.

٢- بالنسبة إلى الرئيس كان الازدهار المستقبلي للبلاد ككل والعاصمة الجديدة بالأخص يكمن في استغلال موقعها الجغرافي الذي يتوسط عاصمتين هامتين هما موسكو وبكين ،في إعادة إحياء للتجارة الإقليمية الواقعة على طريق الحرير التجاري القديم.

٣- اعتبرت العاصمة الجديدة **(مدينة الرئيس)** في روحها وشكلها وحتى في اسمها، فقد صرح الرئيس نزاربابيف في مقابلة تليفزيونية بأن اسم المدينة الجديد راوده في "حلم" أثناء نومه ، وأستانة تعني العاصمة بالتركية ، وقال الرئيس واصفا أهمية المشروع :(نحن كأمة وللمرة الأولى بات لنا استقلالنا وللمرة الأولى نبني عاصمة خاصة بنا وهذا أمر يدعو للفخر بكل تأكيد)[٢٢].

٤- وضع الرئيس بنفسه خطة معددة سلفا وتصورا خاصا لشكل المدينة وهيئيتها ومواقع المنشآت فيها، وسمحت عائدات النفط الكبيرة له بتحقيق حلمه الخاص في بناء مدينة عالمية تطمح في الانضمام إلى قائمة المدن العظيمة عالميا ، وعلى مخطط لمدينة بمساحة نيويورك شيدت المدينة في ظرف ٢٠ عاما فقط متبعة خطى واشنطن وبرازيليا كعاصمة من العواصم النادرة حول العالم التي تم تخطيطها بالكامل بشكل مسبق،وأمر بإنشاء مباني المدينة لتكون مجمعا لمعالم العالم وأيقونات العمارة التاريخية.

٥- أسندت مهمة التصميم المعماري وتخطيط المدينة للمعماري الياباني كيشوكيروكاوا، الذي اعتمد

[٢٢] في مقابلة متلفزة لصالح قناة ناشونال جيوغرفيك

تصميميا وبيئة بنيوية تشكل توازنا مع البيئة المحيطة ، وأعلنت في مرات عديدة عن الالتزام ب"توجيهات الرئيس" التي دعت إلى دمج السمة الحداثية للمدينة بالملامح الأوراسية للبلاد، وفق هذه الفلسفة، تم بناء الخيمة الأكبر في العالم، المستوحاة من الحياة البدوية البسيطة لأتراك مرتفعات أسيا الوسطى، وهي مستوحاة من حياتهم فقط من الخارج، إذ تضم تلك الخيمة الشفافة مركزًا تسويقيًا وترفيهيًا باسم "خان شاتير" (ومعناها السرادق الملكي) يتمتع فيه السكان بالتسوق بمعزل عن طقس مدينتهم القاسي، وقد صمم ذلك المبنى المعماري البريطاني فوستر المعروف بتصميماته الحداثية عالية التكنولوجيا (عمارة الهاي تِك)

٧-٣-٢ الرؤية السياسية لحاكم البلاد عند إنشاء العاصمة الجديدة

١-كما سلف ذكره، فإن العاصمة الجديدة عدت على الصعيد الرسمي ولشعبي وحتى الدولي : مدينة الرئيس نزاربابيف ، كما صرح الرئيس الروسي الأسبق مدفيف (نزاربابيف لم يعط المدينة جهده وتصميماته فقط، بل أعطاها روحه)[٢٣] ، واضعا توقيعه الخاص ومخططه المعماري على مباني المدينة ،

(أشرف الرئيس على عملية بناء العاصمة بأكملها و يعتبر أيضا المبدع الأول لظاهر أستانا المعمارى لتوقيعه شخصيا على كل منشأة جديدة أو مشروع معماري قبل إنشائه على أرض الواقع)[٢٤].

٢- حدد الرئيس بنفسه المهام الجديدة الخاصة بضرورة تطوير أستانا بصفتها مدينة المستقبل طبقا لخطة " المدينة الذكية" و هدفت هذه الخطة إلى دخول العاصمة الكازاخية قائمة ٥٠ "مدينة ذكية " في العالم قبل حلول عام ٢٠١٧.

٣-صمم حاكم البلاد العديد من المباني بنفسه وخضعت جميع عمليات التنفيذ لاشرافه الشخصي مثل قاعة المؤتمرات المواجهة لقصر الرئاسة، والتي تحاكي في شكلها وريقات زهرة وهي تنفتح، والتي بنيت تحت إشراف نزاربابيف مباشرة كما نقل عن مصممها الإيطالي مانفريدي نيكوليتّي قول الرئيس: "كل شيء هنا تحت نظري؛ أنتم وتنفيذ المبنى"

٤-أعطى الرئيس توجيهاته للمصممين ببناء مبنى أيقوني مستوحى من الحضارة المصرية على شكل هرم ليكون مركزا لمؤتمرات أديان العالم وصممه المعماري الانجليزي نورمان فوستر وامر أن يتم الانتهاء من البناء في مدة قياسية وأطلق الرئيس عليه (قصر السلام والمصالحة) .

٥-بسبب قصر المدة المحددة من قبل الرئيس مقارنة بضخامة المشروع تطلب الأمر **أوامر عسكرية خاصة وغير تقليدية استدعيت بها قوات الجيش للمساعدة في إنهاء المشروع فكان العسكريون يساعدون المقاولين للانتهاء في المدة المحددة .**

٦-في منطقة قلب المدينة الجديد برج "بايترِك" (الشجرة الحورية)، وهو عبارة عن برج حديدي بما يشبه البيضة في أعلاه في إشارة إلى أسطورة الطائر سمروق الذي يضع بيضة له كل عام على "شجرة الحياة"" وهو أيضًا **مبنى صممه نزاربابيف بنفسه** بل **ووضع نسخة من التخطيط الأوليّ الذي خطه بيده أعلى برج بايترِك** ليطلع عليه الزائرون ،وطلب بناءه من فوستر الذي وصف المينة بقوله : (إنها مدينة جديدة ولها هوية جديدة يريد "أحدهم" أن يترك بصمته من خلالها).

[٢٣] مقال بعنوان :أستانة عاصمة جديدة بجرة قلم الرئيس،نون بوست ١٣-٤-٢٠١٥

[٢٤] مقال بعنوان : أستانا - الهام تاريخ كازاخستان الجديد، بيريك أرين سفير كازاخستان بالقاهرة ،بوابة أخبار اليوم ١- ٧- ٢٠١٤

٧-واحدة **من تصميمات الرئيس أيضا مبنى (مؤسسة الرئيس الاول ومكتبته) والذي يحمل اسمه أيضا** إضافة إلى قصر الحكم المشابه للبيت الأبيض باستثناء قبته الزرقاء ، إضافة إلى طريق احتفالي يصل إلى القصر الرئاسي.

تمثال الرئيس نزاربابيف في عاصمته الجديدة

٧-٣-٣ الانعكاسات المباشرة للاعتبارات السياسية في قرار إنشاء العاصمة الجديدة

١-تكبدت خزينة البلاد ملايين الدولارات لإنجاز المشاريع الضخمة التي طمح لها الرئيس في وقت قياسي ،حيث أنفقت ما يقرب من ٣ مليار دولار للتحضير لاستضافة معرض اكسبو ٢٠١٧ [٢٥]، وقد خُصِصَ للمعرض موقعا شُيدت مبانيه بالكامل خصيصاً لهذا الحدث، ووُضِعَت في قلبه كرةٌ أرضية فضية اللون، وإلى جوارها مركز تسوق حمل اسم "ميغا سيلك واي" (طريق الحرير الكبير).

٢- نظرا للمناخ المتطرف للمدينة فإن كثيرا من أعمال البناء تمت في درجات حرارة قطبية شتاء ومرتفعة صيفا ما أثر على جودة المواد الخام المستعملة وتطلبت حلولا معمارية باهظة الثمن ، كالذي حدث في عملية إنشاء مبنى المؤتمرات الذي تم تغيير مناخ الموقع والعمل على زيادة درجة حرارته ببناء خيمة حرارية كبيرة حول موقع البناء بحجم ملعب كرة قدم لضمان عمل الأسمنت في الحرارة اللازمة له .

٣- يبرر القائمون على المدينة هذه المبالغ الضخمة بضرورة العمل على "تغيير صورة كازاخستان وتجديد الطابع التقليدي للبلاد " إضافة إلى سعيها الدائم لتكون مدينة عالمية تجتذب أموال المستثمرين .

٤-بشكل عام، لا يبدو أن أستانة قد جذبت الكثيرين من شتى أنحاء كازاخستان، إذ لم يتجاوز تعدادها المليون بعد في بلد يضم أكثر من ١٥ مليون شخص، في حين تضم العاصمة القديمة ألماطي ما لا يقل عن ضعف السكان، وهو ما يجعل المباني الضخمة في وسط المدينة هنا، مثل استاد أستانة أرينا الذي يسع لـ٣٠،٠٠٠ شخص، أي حوالي ٣% من سكان المدينة، وقاعة الاحتفالات الكبيرة التي تسع لثلاثة آلاف، وكأنها محاولة لخلق حجم أكبر لتلك المدينة الناشئة.

٥-على الضفة اليمنى تقع منطقة تِلينوغراد التي بناها السوفييت في إطار محاولات جلب النشاط الزراعي والصناعي للمدينة، والتي تضم مبانٍ مشابهة لبعضها البعض في تخطيط بسيط ورتيب معتاد مكون من خطوط متوازية من المباني السكنية والمنشآت الصناعية، وهي للمفارقة المنطقة التي لاتزال تضم معظم سكان المدينة رُغم انطلاق قلب أستانة الحداثي الجديد، لأنهم لا يملكون السكن في الأستانة الجديدة باهظة الأسعار.

٨ – الفرق بين المدينة الإسلامية القديمة والحديثة

بعد عقد الدراسة التاريخية والتحليلية للظروف التي نشأت خلالها المدن الجديدة في الدول الإسلامية قديما أو حديثا ، والنظر إلى حجم التدخل السياسي المباشر في هذه النشأة ، واستمرار أثر القرار الحاكم على المسيرة الحضارية والتطورية لهذه المدن ، نخلص إلى أهم الفروق التي مايزت بين الحالتين وما جمع بينهما من متشابهات أيضا خاصة فيما يتعلق بالاستجابة العمرانية للقرار السياسي ،وذلك على النحو التالي :

١-**مرجعية المدينة** :استمدت المدينة الإسلامية تفردها وهويتها الخاصة من انبثاقها من روح الدين الإسلامي وتعبيرها عنه والتزامها بأصوله فقها وشرعا ، ينعكس ذلك في أول صوره في موقع المسجد المتمركز في قلب المدينة ووسطا بين شوارعها وأحياءها ، فهو القلب الذي تتفرع منه وتصل إليه باقي مكونات

[٢٥] BBCالعربية مقال بعنوان:أستانا قصة صعود نجم عاصمة كازاخستان، دين-هيم تشين وتايلور ويدمان ١٧-٥-٢٠١٨

المدينة ، وهو النقطة البصرية الأوضح والأبرز في المجال البصري للمدينة ككل ، كما تحكم الشرائع الإسلامية الروابط الاجتماعية بين أفراد المدينة منعكسة في أدق تفاصيلها العمرانية كارتفاعات المباني وعروض الشوارع ،بينما في المدينة الحديثة لا يحل المسجد الجامع هذا المحل المركزي ولا تعد التعاليم الفقهية منطلقا جوهريا في عملية عمران المدينة ، بل على العكس تظهر المرجعية الغربية في اختيار مركز المدينة و أكثر مبانيها تأثيرا بصريا وهو مبنى الحكم أو أحيانا مبنى البرلمان ما يعكس التوجه نحو القيم الغربية وإعلاء مفاهيمها

١- **نسب المسجد الجامع ومقر الحكم:** في المدينة الإسلامية القديمة كثيرا ما ارتبط مقر الحكم بالمسجد الجامع وحاول أن يتصل به بأقرب مسافة ممكنة استمدادا للشرعية وإعلانا عن انبثاقه من المرجعية الدينية كخليفة للمسلمين أو وال عليهم ، بينما في المدينة الحديثة ولما لم يعد للمسجد الجامع هذا الدور المحوري الكبير في تكوين المدينة ، فإن مقر الحكم لم يعد مرتبطا به بالضرورة أو حريصا على التواجد القريب منه ، إضافة إلى التفاوت في حجم الكتلتين ، فقد كانت مقياس دار الحكم قديما بالنسبة إلى مقياس المسجد الجامع تعد مؤشرا بصريا على امتثال الحاكم للمرجعية الدينية ، بينما في المدن الحديثة تتفوق دائما كتلة مقر الحكم على كتلة المسجد .

٢- **مستويات السلطة في المدينة:** التطبيق الراشد للمفاهيم الإسلامية أنتج مدينة تتشارك فيها السلطة المجتمعية مع السلطة السياسية في اتخاذ القرارات العمرانية و تتوقف حدود السلطة السياسية عند الشؤون الإدارية للمدينة ، وبالتخلي عن المفاهيم المنبثقة من الفقة الإسلامي نتجت مدينة تتغول فيها السلطة السياسية على كل قرارات المدينة العمرانية والمعمارية والمجتمعية أيضا ، وهو ما نراه مستمرا حتى يومنا هذا .

٣- **النمط التخطيطي:** امتازت المدينة الإسلامية بشوارعها المتعرجة ونهاياتها المسدودة والتي كانت محل جدال دراسي كبير بين من يعدها مختطة ومن يعدها عشوائية كل وفق بيئته ولغته الخاصة ، وكان ذلك نابعا من فلسفتها الخاصة ، بينما المدينة الإسلامية الحديثة لا تختلف عن غيرها من المدن الحديثة غير الإسلامية التي تشترط كمبدأ من مبادئ حداثتها وتطورها أن تكون منتظمة الشوارع والميادين وبعروض محددة مسبقا

٤- **الوعي المجتمعي وثقافة الموقف:** يلاحظ أن سكان المدينة الإسلامية في عصرها الراشد كانوا أكثر وعيا وإدراكا لطبيعة الدور التشاركي فيما بينهم وبين السلطة الحاكمة وطبيعة النظام الحاكم ذاته في ضوء فهمهم للشريعةالإسلامية وفقهها السياسي ،ما انعكس على مشاركتهم المستمرة فيما يخصهم أو يخص مدينتهم،أي أنهم كانوا مركز ثقل لا يقل عن السلطة الحاكمة وتؤخذ حاجاتهم في المقام الأول ، ثم بانحدار هذه الثقافة وتناقص هذا الإدراك بدأ ثقل القوة الشعبية في التناقص شيئا فشئيا إلى أن وصل إلى العصور الحديثة التي تؤخذ فيها قرارات تمس المواطنين بشكل مباشر وتؤثر على مجرى حياتهم دون أن يكون لهم أي دور ظاهر، فمن الممكن ان تنقل عاصمة البلاد إلى أخرى أو أن تنفق خزينة الدولة على مشروعات "تعدها السلطة" قومية ثم يتبين انعدام الحاجة إليها على المستوى النظري والتطبيقي .

٥- **الحاجة إلى الأسوار** : كثيرا ما تحصنت المدن القديمة بالأسوار والأبواب للأغراض الدفاعية والأمنية إلا في حالات قليلة (كالفسطاط في مصر) ، بينما اختفى هذا العنصر تماما من كل تكوينات المدن الحديثة نظرا لانتفاء الحاجة إليه مع تقدم الوسائل الدفاعية ، إلا أنه لا يزال حاضرا بقوة حول المنشآت السياسية الكبيرة .

٦- **نقطة التشابه** الجامعة بين المدينتين الإسلامية القديمة والحديثة هي تأثرهما الواضح بالقرار السياسي والفكر الحاكم لها _شأنها شأن سائر المدن_ سواء على مستوى التكوين العمراني للمدينة أو على مستوى مفرداتها المعمارية

ويمكن تلخيص هذه الفروق بين المدينتين من خلال المقارنة بين مدينة القاهرة (المدينة القديمة) ومدينة أبوجا (المدينة الحديثة) وذلك في الجدول التالي:

	المدينة الإسلامية القديمة (القاهرة)	المدينة الإسلامية الحديثة (أبوجا)
النمط التخطيطي	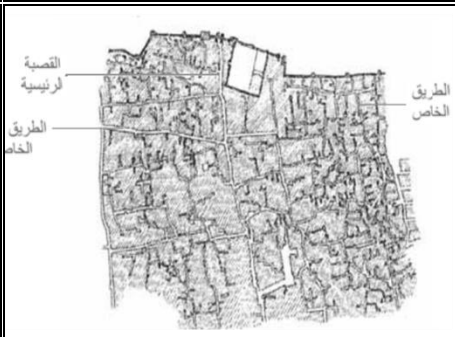 شوارع متعرجة ونهايات مسدودة	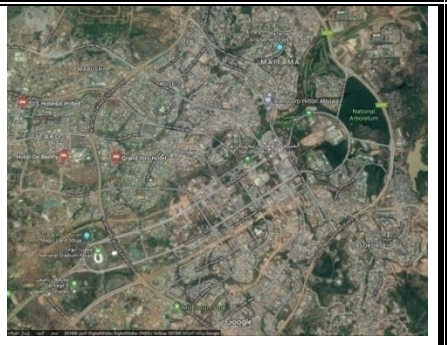 شوارع منتظمة وانعدام للنهايات المسدودة
موقع المسجد	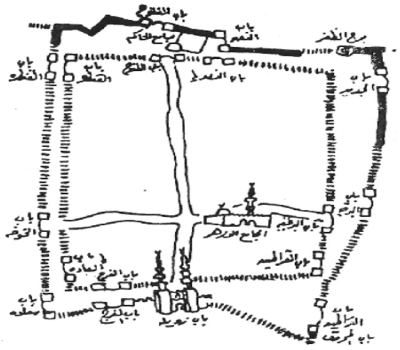 يتوسط المسجد الجامع قلب المدينة	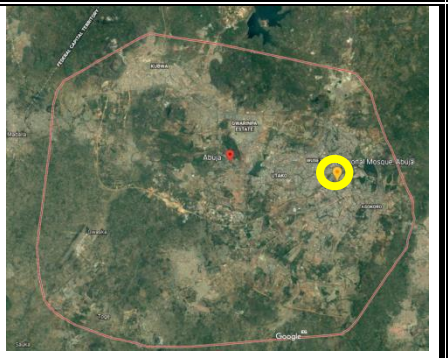 لا يحل المسجد في قلب المدينة
مقر الحكم	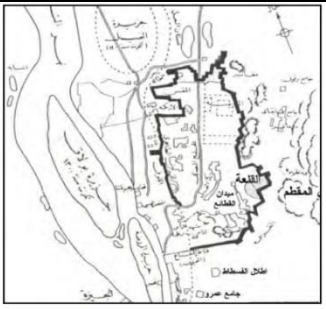 بجوار المسجد	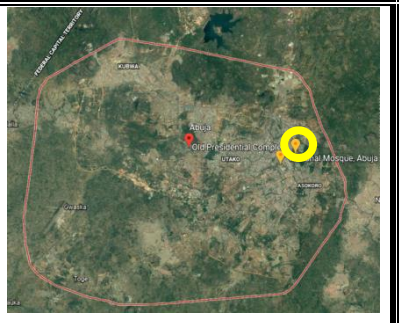 لا يشترط جوار المسجد

العوامل الدفاعية	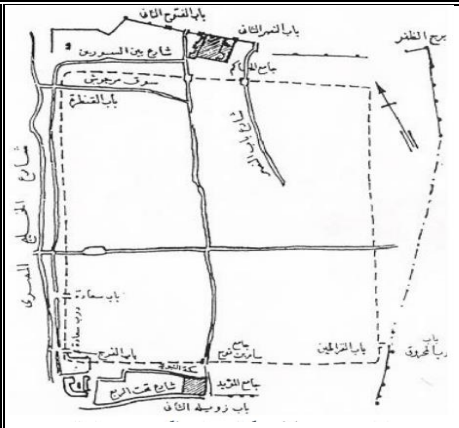 محاطة بالأسوار	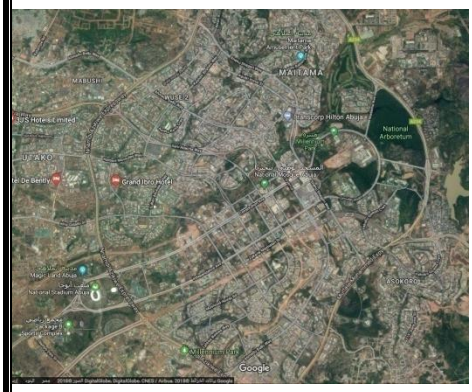 غياب الأسوار والأبواب
تأثير التدخل السياسي	١- اختيار الموقع ٢- تحديد بعض أماكن المكونات العمرانية ٣- تتحكم في القرارات الإدارية للمدينة ويحضر تمثيل السلطة المجتمعية ويتفاوت هذا الحضور ٤- تحتكم إلى المفهوم الديني كمرجعية حاكمة ٥- يقع المسجد في قلب المدينة ويمثل مركزها التخطيطي والوجداني. ٦- يستمد مقر الحكم شرعيته من مجاورة المسجد . ٧- يتحدد القرار السياسي بقوانين فقهية ومجتمعية تضبط مساحات التدخل في التكوين العمراني . ٨- جاء أثر التدخل السياسي في بعض الأحيان متوافقا مع المسيرة الحضارية لنشأة المدينة ونموها وفي أحيان أخرى مثل تدخلا معارضا لهذه المسيرة الحضارية .	١- اختيار الموقع ٢- تحديد كل أماكن المكونات العمرانية ٣- تتحكم في كافة قرارت المدينة ويغيب تمثيل السلطة الشعبية. ٤- لا تختلف عن أي مدينة غربية ذات مرجعية حداثية ٥- لا يشترط أن يقع المسجد في قلب المدينة . ٦- ينحسر دور المسجد المرجعي بالنسبة لمقر الحكم. ٧- لا توجد آليات محددة توضح مساحات التشارك بين السلطة السياسية والمجتمعية وفي حال وجودها نظريا فإنها تفتقر التطبيق العملي. ٨- في المدن الحديثة فإن القرار السياسي غالبا ما يقدم المصلحة الأمنية والاعتبارات السياسية على الاعتبارات المدينية والتخطيطية .

٩- نتائج البحث

١- كما يظهر الرصد التاريخي والتطبيق العملي المعاصر ، فإن إنشاء المدن الجديدة وخاصة العواصم منها ، يأتي مترافقا _أو تابعا _ بشكل كبير للقرار السياسي ، وبطبيعة الحال فإن ما يحدث في المجتمع من تحولات سياسية تتخذها السلطة الحاكمة ، لابد أن يلحظ تمثيلها في المجال المعماري والتصميم الحضري ، ويتفاوت حجم هذا التمثيل إلا أنه لا يختفي تماما .

٢- مرت المدن المنشأة في تاريخ الدول الإسلامية منذ القرن الهجري الأول وحتى وقتنا المعاصر بتغيرات منهجية سياسية نتج عنها تغيرات تطبيقية على مستوى العمران ، فالعصر الراشد للحكم الإسلامي نشأت في ظله مدن تحترم ساكنيها وتؤثر قراراتهم فيها تأثيرا مباشرا لا يقل قوة ووضوحا عن القرار المباشر للسلطة الحاكمة بل كان يأخذ مساحة أكبر في بعض الأحيان ، ثم بمرور الدولة الإسلامية بتحولات سياسية جذرية في نظام الحكم بدأت انعكاسات التوجهات الجديدة في التجلي على مستوى المدن المنشأة ، فتجسد انتقال مركز الثقل إلى الفرد الحاكم بعد أن كانت الأهمية الأكبر تستمد من المرجعية الدينية عن طريق انتقال مركز المدينة من المسجد إلى دار الإمارة ، إضافة إلى تهميش دور السكان أنفسهم وارتفاع النزعة التأمينية ووضوح مفرداتها المعمارية ، ثم وصولا إلى العصر الحديث الذي فقدت فيه المدينة المنشأة في الدولة الإسلامية أي ارتباط بهويتها ومكونها الأصيل ، وأصبحت لا تختلف عن أي مدينة حداثية تستمد نسقها التخطيطي والمعماري من المرجعية الغربية .

٣- المدينة القديمة المنشأة في الدولة الإسلامية مثلت انعكاسا صادقا للفكر الحاكم لها سواء كان رشيدا أو مستبدا ، بينما يصعب تحديد التوجه الحاكم في المدينة الحديثة خاصة مع ارتباط تغير التوجهات الفكرية بالتغير في أشخاص الحكام ،وانتمائها الواقعي للاتجاه الحداثي، ويمكن استنباط تباين طبيعة التكوين الاجتماعي والثقافي للسكان ما بين المدينة القديمة والمدينة الحديثة.

٤- تشترك المدن المنشأة في الدول الإسلامية قديما وحديثا في انعكاس القرار السياسي عليها منذ اتخاذ قرار الإنشاء موقع المدينة ، مرورا بتحديد نمطها المعماري ، وانتهاء بتوزيعات المفردات المعمارية وتشكيلها ،وترتبط الحالة السياسية للبلاد بالحالة الاجتماعية ، ونظام الحكم يؤثر على النسيج الداخلي للمدينة .

٥- يلاحظ أنه كلما اتجه نظام الحكم نحو الفردانية في اتخاذ القرار كلما كان أكثر تطلعا للمشاريع العملاقة القائمة على التهويل والتضخيم دون مراعاة الظروف الاقتصادية والمعايير التخطيطية والعلمية ، كما أنه يتعامل مع العمارة على اعتبارها مجرد أيقونات تذكارية مخلدة .

٦- تميل الأنظمة أحادية الحكم إلى سياسة (الهدم والإحلال) بدلا من الالتفات إلى الإصلاح والمعالجة ،فنجد أن التوجه الأول دائما يتجه نحو إنشاء مدينة جديدة من العدم بدلا من علاج مشكلات المدن القائمة بالفعل والتي قد لا تصل تكلفتها إلى بناء مدن جديدة ، ويلاحظ أيضا أن هذه المدن عادة ما تكون عواصم جديدة تخلد ذكر بانيها وليست مجرد مدينة عادية أو امتداد عمراني.

٧- في معظم الأحيان ، فإن الوعي السياسي لا يصل إلى إدراك أن الأهداف السياسية والأمنية والرغبة في الإنجاز المؤثر لا تتعارض بالضرورة مع المعايير العلمية والأسس التخطيطية ، وأن تجاهلها على حساب المصالح السياسية يؤدي إلى نتائج عكسية ، وأن العمارة ليست من المجالات التي يمكن أن تخضع "للأمر المباشر " ثم تؤتي النتائج المرجوة .

٨- تترسخ الحاجة أكثر إلى تعميق مفهوم الهوية كحلقة وصل بين القرار السياسي والمنتج المعماري لفهم كيفية صياغة الأفكار وأفضل طرق تمثيلها مجتمعيا دون الخضوع للأهواء الشخصية للسلطة صاحبة القرار.

المراجع :

أولا:الكتب العربية

١- أحمد عبد الرزاق أحمد – العمارة الإسلامية في العصرين العباسي والفاطمي–الطبعة الأولى ١٩٩٩.

٢- أحمد عبد الرزاق أحمد – العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي وحتى نهاية العصر المملوكي – دار الفكر العربي للنشر –الطبعة الثانية ٢٠١٢

٣- أيمن فؤاد سيد – القاهرة :خططها وتطورها العمراني – ، الهيئة العامة للكتاب–الطبعة الأولى ٢٠١٥

٤- توفيق أحمد عبد الجواد – العمارة الإسلامية فكر وحضارة–مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثانية١٩٩٠

٥- جميل عبد القادر أكبر–عمارة الأرض في الإسلام _مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع –الطبعة الأولى١٩٨٨

٦- خالد عزب– مقر الحكم في مصر :السياسة والعمارة – الطبعة الأولى ٢٠١٧

٧- خالد عزب – دار السلطنة في مصر: العمارة والتحولات السياسية –المجلس الاعلى للثقافة– الطبعة الأولى ٢٠٠٧ .

٨- خالد عزب – الحجر والصولجان ،الهيئة العامة لقصور الثقافة–الطبعة الأولى ٢٠١٢.

٩- خالد عزب – فقه العمران ، العمارة والمجتمع والدولة في الحضارة الإسلامية –، الدار المصرية اللبنانية –الطبعة الأولى٢٠١٣

١٠- خطط المقريزي

١١- دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية :الكتاب التقديري للآثاري عبد الرحمن عبد التواب ، المجلس الأعلى للثقافة /المجلس الأعلى للآثار ، الجزء الأول – الطبعة الثانية٢٠٠٨

١٢- طارق والي – النظرية العمرانية في العبر الخلدونية –،إصدارات بيت القرآن –البحرين الطبعة الأولى١٩٩٥

١٣- عبد الله كامل موسى عبده – الأمويون وآثارهم المعمارية والفنية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر– دار الآفاق العربية–الطبعة الأولى ٢٠٠٣

١٤- عبد الله كامل موسى عبده – المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين –دار الآفاق العربية– الطبعة الثانية ٢٠٠٤

١٥- ك.أ.س.كريسويل ، ترجمة د.عبد الوهاب علوي، د.محمد حمزة إسماعيل الحداد، العمارة الإسلامية في مصر –المجلد الأول : الإخشيديون والفاطميون –دار القاهرة ومكتبة زهراء الشرق–الطبعة الثانية ٢٠٠٤

١٦- كمال عناني إسماعيل – آثار مصر الإسلامية –، دار الوفاء للطباعة والنشر–الطبعة الأولى ٢٠١٤

١٧- محمد عبد الستار عثمان – المدينة الإسلامية –، عالم المعرفة ، الكويت الطبعة الأولى ١٩٨٨

١٨- محمد عفت عبد المؤمن – قلعة الجيل دراسة تارخية وتحليلية لبعض المنشآت الحربية والمدينة داخل قلعة الجبل –الطبعة الأولى ١٩٨٧

١٩- محمد محمد الكحلاوي – آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين –الدار المصرية اللبنانية –الطبعة الثانية١٩٩٩

٢٠- مصطفى عبدالله شيحة – الآثار الإسلامية في مصر :من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي ،مكتبة انهضة المصرية –الطبعة الأولى ١٩٩٢.

ثانيا : الكتب الأجنبية :

1- Hakim, Besim Selim(1986) Arabic Islamic Cities building and planning principles ,London:KPI

2- Lawernce J. vale - Architecture. Power & National Identity : Two newly created Capitals :Islamabad & Brasilia

ثالثا : الأوراق البحثية والمؤتمرات العلمية :

1-Problems and prospects of logistics development in Kazakhstan, Sandugash Kurmanbeknovna Serik Bayeva Aigul Turyazhanovna Tungatarova, Gauhar Sersenbaevna Borankulova, (May2018)

2-Jonathan Moore- The political History of Nigeria s New Capital -
The journal of modern African studies22,1(1984)

3-Azizur Rahman Khan & Arthur Macewan –A Multisectoral Analaysis of capital Requirements for Devolopment Planning in Pakistan/Co-existing contrasts Pakistan: Evolving Expressions of diversity in Architecture - Youlin magazine .

4 - منظمة العواصم والمدن الإسلامية /الحلقة الدراسية لأسس ومعايير تصنيف المباني والمدن التراثية الإسلامية وكيفية الحفاظ عليها ١٩٩٦- الخصائص العمرانية للمدينة الإسلامية – د. (عبدالباقي ابراهيم

رابعا : الرسائل العلمية :

١- سحر عبد المنعم عطية ، دراسة تحليلية لبعض العوامل المؤثرة على تشكيل المدينة العربية ، رسالة ماجستير كلية الهندسة جامعة القاهرة .

٢_سماء حسين راضي ، العمران الإسلامي كمدخل لتطبيق مفاهيم التنمية الاجتماعية المستدامة في المستقرات السكنية بمصر، رسالة ماجستير ،كلية الهندسة جامعة المنصورة

3- Ahmed,Khaled Galal " user-controlled Housing:Towards Socio-Culturally responses Housing in Cairo, Egypt " PhdD,Welsh school of Wales,Cardiff,UK.2003

The effect of Political intervention on the genesis of old and new cities .
(The case of Islamic countries)

Abstract :

Studies seeking to access the real component of the architectural and planning product , and the relationship between this product and political ideology, trying to answer a question on whether the architecture was a mean to install the regime for the rulers or a mean of expression of power and perpetuate their names?
Or that these political decisions were consistent with the process of civilization of the city ?
Can we read the history of a society through walking in the streets of the city?
And how was the effect of the ruling political decision on the resolution of the planning in the genesis of Islamic Cities Old & New ?
What are the differences caused by political interference in the planning of Islamic Cities Old & New ?
This is what the Research tries to answer through the understanding of the bilateral relationship between the community and the representative expressed in architecture and the principles governing the political decision.
The search follows the analytical approach and historical monitoring of the cities established by a direct political decision in the case of the Islamic states, Old & New .

Keywords :

Politics – city genesis – Islamic cities .